الدَّرس الرابع والعشرون
أسبوع آلام السيد المسيح

يشتمل هذا الدَّرس على العناصر التالية:
أولًا: سكب الطيب على السيد المسيح
ثانيًا: العشاء الأخير
ثالثًا: المسيح يُصلّي في بستان جثسيماني
رابعًا: يهوذا يُسلِّم السيد المسيح لرؤساء الكهنة
خامسًا: المحاكمات السِّتّ للسيد المسيح
سادسًا: صلب المسيح ودفنه

مُقدِّمة

احتل الأسبوع الأخير من حياة السيد المسيح الأهمية العظمى فى المسيحية منذ بدايتها؛ وذلك من أجل أحداث الصليب ثم القيامة. ويشمل الأسبوع الأخير من حياة المسيح العشاء الرَّبَّاني الذى وضعه السيد المسيح لأتباعه حيث يذكرون موته وسفك دمه من أجل الفداء والخلاص.

وقد توَّج كل ذلك بوصيته الأخيرة بما يُعرف بالمأموريّة العظمى قبل صعوده مباشرة "*اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل (اي بالخبر السار) للخليقة كلها، وتلمذوهم، وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وعمِّدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وها أنا معكم إلى انقضاء الدهر*" (متَّى ٢٨).

مكان تواجُد السيد المسيح في الأسبوع الأخير

خلال الفترة من يوم الأحد وحتى الأربعاء، كان السيد المسيح، على الأرجح، يبيت في بيت عنيا التي تبعد ميلين إلى الشرق عن أورشليم. لكن لا نعرف تحديدًا ماذا فعل المسيح يوم الأربعاء. ربما قضاه مع تلاميذه ليُعلِّمهم في بيت عنيا.

أمَّا ليلة الخميس فقد صنع العشاء الأخير (الذي نسميه خميس العهد). فقد كان يُصلّي في بستان جثسيماني، وفي تلك الليلة ألقوا القبض عليه وأحضروه إلى دار رئيس الكهنة. وفي صباح الجمعة ساقوه إلى الوالى الروماني بيلاطس، الذى أرسله بدوره إلى الملك هيروس الذي سال المسيح عن معجزة، ولم يُجِبه، فأعاده إلى بيلاطس مرَّة أخرى.

وتحت ضغط رؤساء الكهنة والشعب أعطاه لهم بيلاطس ليحكموا عليه حسب شرائعهم. وفي منتصف النهار قادوه خارج المدينة أورشليم وصلبوه هناك مع لصَين، ورقد جسده ليلتي الجمعة والسبت في القبر وقام في اليوم الثالث (الأحد).

أولًا: سكب الطيب على السيد المسيح

"وَكَانَ ٱلْفِصْحُ وَأَيَّامُ ٱلْفَطِيرِ بَعْدَ يَوْمَيْنِ. وَكَانَ رُؤَسَاءُ ٱلْكَهَنَةِ وَٱلْكَتَبَةُ يَطْلُبُونَ كَيْفَ يُمْسِكُونَهُ بِمَكْرٍ وَيَقْتُلُونَهُ، وَلٰكِنَّهُمْ قَالُوا: «لَيْسَ فِي ٱلْعِيدِ، لِئَلَّا يَكُونَ شَغَبٌ فِي ٱلشَّعْبِ». وَفِيمَا هُوَ فِي بَيْتِ عَنْيَا فِي بَيْتِ سِمْعَانَ ٱلْأَبْرَصِ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ، جَاءَتِ ٱمْرَأَةٌ مَعَهَا قَارُورَةُ طِيبِ نَارِدِينٍ خَالِصٍ كَثِيرِ ٱلثَّمَنِ. فَكَسَرَتِ ٱلْقَارُورَةَ وَسَكَبَتْهُ عَلَى رَأْسِهِ. وَكَانَ قَوْمٌ مُغْتَاظِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَقَالُوا: «لِمَاذَا كَانَ تَلَفُ ٱلطِّيبِ هٰذَا؟ لِأَنَّهُ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُبَاعَ هٰذَا بِأَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ». وَكَانُوا يُؤَنِّبُونَهَا. أَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ: «ٱتْرُكُوهَا! لِمَاذَا تُزْعِجُونَهَا؟ قَدْ عَمِلَتْ بِي عَمَلًا حَسَنًا! لِأَنَّ ٱلْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَمَتَى أَرَدْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِمْ خَيْرًا. وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ. عَمِلَتْ مَا عِنْدَهَا. قَدْ سَبَقَتْ وَدَهَنَتْ بِٱلطِّيبِ جَسَدِي لِلتَّكْفِينِ. ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهٰذَا ٱلْإِنْجِيلِ فِي كُلِّ ٱلْعَالَمِ، يُخْبَرْ أَيْضًا بِمَا فَعَلَتْهُ هٰذِهِ، تَذْكَارًا لَهَا». (مَرْقُسَ ١٤: ١ – ٩).

جاءت امرأة إلى السيد المسيح وسكبت زجاجة من العطر (أو الطيب) الغالي الثمن على رأسه. يقول البعض إنَّ النساء كُنّ يحتفظن بالعطر ليوم زفافهن. ولكن يهوذا الإسخريوطي استاء مفضلاً أن يُباع هذا العطر وتُعطى هذه الأموال للفقراء (ولكنه في الحقيقة لم يكن يكترث بالفقراء ولكن لأنَّ الصندوق كان معه وكان سارقًا ولصًا). وعندما أخذ البعض يوبّخونها، قال السيد

المسيح "*إنَّها فعلت هذا لتكفيني*" أي لكي يُوضع على جسده الذي سوف يوارى التراب بعد أيام قليلة عطرٌ، وإنَّ ما فعلته هذا سوف يكون قصة تتداولها الأجيال مع انتشار هذا الإنجيل. وبذلك تنبأ المسيح مرة أخرى عن موته ودفنه"

ولا يعرف أحدٌ اسم هذه المراة ولا متى تم ذلك ولكن ربما تم ذلك يوم الأربعاء.

ثانيًا: العشاء الأخير

ما هو الفصح؟

أمر الله شعب اسرائيل أن يحتفلوا بالفصح، تذكارًا لليوم الذي أنقذهم الله فيه من هلاك مُحقق عندما كانوا عبيدًا في أرض مصر. حيث نجاهم الرب وقت مواجهة موسى لفرعون. فأمر الرب موسى أن تذبح كل عائلة وتغطي العتبة العليا بدم الذبيحة من باب البيت مع القائمتين الجانبيتين حتى إذا جاء الملاك المُهلِك يرى الدم ويعبر عنهم.

يعبّر ذلك عن إيمان شعب إسرائيل بالله لذلك امتثلوا لهذا الأمر، ونجي الابن البكر من كل عائلة من شعب اليهود. أمَّا الملاك فقد جاء الي بيوت المصريين التي لم تكن عليها علامة الدم وقتل كل ابنٍ بكر في هذه البيوت.

تذكارًا لهذا اليوم كانوا يأكلون حملا مشويا وأعشاب مُرّة. وبعد أن مات المسيح وقام عرفوا أنَّ المسيح هو الفصح الحقيقي وهو حمل الله الذي يرفع خطية العالم وكل من يؤمن به كمن وضع الدم فوق العتبة فهو سوف ينجوا من العقاب أو الهلاك الأبدي.

كان الإعداد للفصح يشمل إعداد المائدة وشراء خروف الفصح وتجهيزه مع خبز غير مختمر (اذ لم يكن هنالك وقت لكي يختمر العجين حينما خرج شعب إسرائيل من مصر) مع الشراب والطعام المعتاد في تلك المناسبة. في ذلك الوقت، تكن المائدة مثل موائدنا هذه الأيام بل كانت قريبة للأرض تسمح للجميع بالجلوس حولها، وكان صاحب المائدة يجلس على رأسها والجميع من حوله. وكانت العلية (أي غرفة) منفصلة فوق سطح المنزل، حيث مارس الرب يسوع فريضة العشاء الأخير مع تلاميذه

ونعرف من الأناجيل أنَّ السيد المسيح أكل الفصح مع تلاميذه ثم ذهبوا إلى جبل الزيتون إلى بستانٍ يُسمى جثسيماني وهناك انعزل المسيح عن تلاميذه وبدأ يُصلّي استعدادًا لما سيواجهه من مصاعب آتية ومحاكمات وآلام وشيكة.

التآمُر لقتل المسيح.

"وَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هَذِهِ ٱلْأَقْوَالَ كُلَّهَا قَالَ لِتَلَامِيذِهِ: «تَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَكُونُ ٱلْفِصْحُ، وَٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ يُسَلَّمُ لِيُصْلَبَ.» حِينَئِذٍ ٱجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ ٱلْكَهَنَةِ وَٱلْكَتَبَةُ وَشُيُوخُ ٱلشَّعْبِ إِلَى دَارِ رَئِيسِ ٱلْكَهَنَةِ ٱلَّذِي يُدْعَى قَيَافَا، وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يُمْسِكُوا يَسُوعَ بِمَكْرٍ وَيَقْتُلُوهُ. وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: «لَيْسَ فِي ٱلْعِيدِ لِئَلَّا يَكُونَ شَغَبٌ فِي ٱلشَّعْبِ». حِينَئِذٍ ذَهَبَ وَاحِدٌ مِنَ ٱلِٱثْنَيْ عَشَرَ، ٱلَّذِي يُدْعَى يَهُوذَا ٱلْإِسْخَرْيُوطِيَّ، إِلَى رُؤَسَاءِ ٱلْكَهَنَةِ وَقَالَ: «مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُعْطُونِي وَأَنَا أُسَلِّمُهُ إِلَيْكُمْ؟». فَجَعَلُوا لَهُ ثَلَاثِينَ مِنَ ٱلْفِضَّةِ. وَمِنْ ذَلِكَ ٱلْوَقْتِ كَانَ يَطْلُبُ فُرْصَةً لِيُسَلِّمَهُ." (مَتَّى ٢٦: ١٤ – ١٦).

ولعل السبب الرئيسي لذلك هو تحدي المسيح لهم، عندما دخل أورشليم وجاء إلى الهيكل وأدان سوء استغلالهم لمراكزهم كرؤساء للكهنة، واستغلال الهيكل للبيع والشراء والمتاجرة والربح القبيح لبيع الذبائح بادعاء مطابقاتها للمواصفات الدينية، وتغيير العملة للقادمين من البلاد البعيدة.

نلاحظ هنا أنَّ اعتراض المسيح وطرد باعة الخراف والحمام (الذبائح) وطرد الصيارفة الذين يغيرون العملة لم يكن اعتراضًا على العمل في حد ذاته، ولكن على إساءة استخدام الهيكل المُخصَّص للصلاة، واستغلال العامة والمصلين القادمين لتقديم ذبائحهم لله لتحقيق الأرباح والمكاسب.

كان على كل ذكر من اليهود فوق سن الثانية عشرة أن يذهب إلى أورشليم لكي يحتفل بعيد الفصح. وكان يعقب يوم الفصح عيد الفطير وهو سبعة أيام تذكارًا لخروج شعب إسرائيل السريع من مصر، إذا لم يتسع الوقت ليختمر العجين فخبزوا العجين بدون خمير.

وكان بنو إسرائيل يجتمعون ليأكلوا وليمة الفصح الحمل (المشوي)، والخمر غير المُسكِر، وأعشاب مُرّة وفطير غير مختمر. وأصبح يُطلق على ذلك الأسبوع كله "الفصح". لكن السيد المسيح أخذ هذا الخبز وذلك الشراب أو الكأس وأعطاهم معنى جديد، فالخبز سيكون رمزًا لجسده المكسور (الذي سوف يقدمه على الصليب) والخمر (يشير إلى دمه الذي سيسفك على الصليب) لكي يفعل تلاميذه هذا (كما يتذكرون الفصح) ويتذكروا موت السيد المسيح عن العالم أجمع.

وبذلك سُميت هذه المائدة "بمائدة العشاء الرَّبَّاني" أو "الإفخارستيا". وهذا ما تمارسه أغلب الطوائف المسيحية لكي تتذكر ما فعله السيد المسيح على الصليب من أجلنا ومن أجل خلاصنا.

ولقد أكل السيد المسيح وتلاميذه وليمة الفصح وسبحوا الله ببعض التسبيحات، وغالبًا ما كانوا يسبحون من (المزامير ١١٥-١١٨) لأنَّها كانت تُرنَّم في عيد الفصح. ثم أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر، ثم أخذ الكأس وشكر، وقال "اصنعوا هذا لذكري".

"وَفِي أَوَّلِ أَيَّامِ ٱلْفَطِيرِ تَقَدَّمَ ٱلتَّلَامِيذُ إِلَى يَسُوعَ قَائِلِينَ لَهُ: «أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نُعِدَّ لَكَ لِتَأْكُلَ ٱلْفِصْحَ؟». فَقَالَ: «ٱذْهَبُوا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ، إِلَى فُلَانٍ وَقُولُوا لَهُ: ٱلْمُعَلِّمُ يَقُولُ: إِنَّ وَقْتِي قَرِيبٌ. عِنْدَكَ أَصْنَعُ ٱلْفِصْحَ مَعَ تَلَامِيذِي». فَفَعَلَ ٱلتَّلَامِيذُ كَمَا أَمَرَهُمْ يَسُوعُ وَأَعَدُّوا ٱلْفِصْحَ. وَلَمَّا كَانَ ٱلْمَسَاءُ ٱتَّكَأَ مَعَ ٱلِٱثْنَيْ عَشَرَ. وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ قَالَ: «ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي». فَحَزِنُوا جِدًّا، وَٱبْتَدَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ لَهُ: «هَلْ أَنَا هُوَ يَا رَبُّ؟». فَأَجَابَ وَقَالَ: «ٱلَّذِي يَغْمِسُ يَدَهُ مَعِي فِي ٱلصَّحْفَةِ هُوَ يُسَلِّمُنِي! إِنَّ ٱبْنَ ٱلْإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ، وَلَكِنْ وَيْلٌ لِذَلِكَ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي بِهِ يُسَلَّمُ ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ. كَانَ خَيْرًا لِذَلِكَ ٱلرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ!». فَأَجَابَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ وَقَالَ: «هَلْ أَنَا هُوَ يَا سَيِّدِي؟». قَالَ لَهُ: «أَنْتَ قُلْتَ».

وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ ٱلْخُبْزَ، وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى ٱلتَّلَامِيذَ وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا. هَذَا هُوَ جَسَدِي». وَأَخَذَ ٱلْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلًا: «ٱشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي ٱلَّذِي لِلْعَهْدِ ٱلْجَدِيدِ ٱلَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ ٱلْخَطَايَا. وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي مِنَ ٱلْآنَ لَا أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ ٱلْكَرْمَةِ هَذَا إِلَى ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي». ثُمَّ سَبَّحُوا وَخَرَجُوا إِلَى جَبَلِ ٱلزَّيْتُونِ." (متَّى ٢٦: ١٧ – ٣٠).

لم يصاحب هذه المائدة أي معجزة أو عمل خارق للعادة ولكنها كانت للتذكير بموته وصلبه وقيامته وأعطاءه حياته وفداءً عن خطايانا.

ويسمي يوم الخميس الذي كان فيه هذا العشاء، بـ "خميس العهد" وذلك العهد الجديد الذي جاء به المسيح ليكون بين الله والبشر أنَّ كل من يؤمن بهذا الفداء ينال حياة أبدية.

تذكار العشاء الرَّبَّاني والطوائف المسيحية
لم يختلف المسيحيون حول أهمية العشاء الرَّباني أو حول المعنى الروحي له. لكنهم اختلفوا في تفسير كيفية ممارسة العشاء الرَّبَّاني، وفيما يسمى "بالاستحالة". ولكي نشرح ذلك فهناك ثلاثة آراء رئيسية، نلخصها على النحو التالي:

1- يتحوَّل "الخبز والكأس" إلى "جسد ودم" حقيقيَين. فهذا عمل سري من الله بواسطة كاهن بعد أن يقوم بقراءة "القداس" لذلك تدور كل العبادة حول هذا الحدث. ويُطلب من شعب الكنيسة عدم الصيام قبل التناول من هذا الجسد ومن هذا الدم. هذا هو إيمان الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية والمارونية وغيرها من الكنائس التقليدية.
2- يظل الخبز والكأس كما هما بلا تغيير: لكن المسيح موجودٌ بالإيمان فيهما ومن خلالهما. وذلك مفهوم الكنائس المشيخية الإنجيلية وبعض الكنائس اللوثرية.
3- يظل الخبز والكأس كما هما بلا تغيير: وهما لا يتغيران ويستمر العنصرين تذكارًا مستمرًا لذبيحة المسيح. وذلك إيمان بعض الكنائس الإنجيلية الأخرى مثل المعمدانية وخلافه.

وفي الحالات الثلاث المذكورة أعلاه، هذا إقرارٌ بالإيمان بذبيحة الحمل الوحيد الذي يرفع خطية العالم (المسيح)، وأنَّنا نصنع هذا لذكرى الصلب والفداء. وبذلك كلما أكلنا من هذا الجسد أو شربنا من هذه الكأس نذكر ما فعله من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا. ونذكر فضله ونخبر بهذا العمل الذي عمله المسيح من أجلنا.

ثالثًا: المسيح يُصلّي في بستان جثسيماني

"حِينَئِذٍ جَاءَ مَعَهُمْ يَسُوعُ إِلَى ضَيْعَةٍ يُقَالُ لَهَا جَثْسَيْمَانِي، فَقَالَ لِلتَّلاَمِيذِ: «اجْلِسُوا هَهُنَا حَتَّى أَمْضِيَ وَأُصَلِّيَ هُنَاكَ». ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَابْنَيْ زَبْدِي، وَابْتَدَأَ يَحْزَنُ وَيَكْتَئِبُ. فَقَالَ لَهُمْ: «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ. امْكُثُوا هَهُنَا وَاسْهَرُوا مَعِي». ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلاً: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ، وَلَكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ». ثُمَّ جَاءَ إِلَى التَّلاَمِيذِ فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا، فَقَالَ لِبُطْرُسَ: «أَهَكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟ اسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ». فَمَضَى أَيْضًا ثَانِيَةً وَصَلَّى قَائِلاً: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ إِلاَّ أَنْ أَشْرَبَهَا، فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ». ثُمَّ جَاءَ فَوَجَدَهُمْ أَيْضًا نِيَامًا، إِذْ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ثَقِيلَةً. فَتَرَكَهُمْ وَمَضَى أَيْضًا وَصَلَّى ثَالِثَةً قَائِلاً ذَلِكَ الْكَلاَمَ بِعَيْنِهِ. ثُمَّ جَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ: "نَامُوا الآنَ وَاسْتَرِيحُوا! هُوَذَا السَّاعَةُ قَدِ اقْتَرَبَتْ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي الْخُطَاةِ. قُومُوا نَنْطَلِقْ! هُوَذَا الَّذِي يُسَلِّمُنِي قَدِ اقْتَرَبَ." (مَتَّى ٢٦: ٣٦ – ٤٦).

فلتكُن مشيئتك. هكذا صلّى السيد المسيح قبل أن يُصلب، فقد كان يعرف الآلام الجسدية والنفسية التي سوف يجوز فيها. وأكثر من ذلك هو انفصاله عن الآب السماوي. فما أصعب أن يخضع الإنسان لمشيئة الله.

رابعًا: يهوذا يُسلِّم السيد المسيح الى رؤساء الكهنة اليهود

"وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، إِذَا يَهُوذَا أَحَدُ الاثْنَيْ عَشَرَ قَدْ جَاءَ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخِ الشَّعْبِ. وَالَّذِي أَسْلَمَهُ أَعْطَاهُمْ عَلاَمَةً قَائِلاً: «الَّذِي أُقَبِّلُهُ هُوَ هُوَ. أَمْسِكُوهُ». فَلِلْوَقْتِ تَقَدَّمَ إِلَى يَسُوعَ وَقَالَ: «السَّلاَمُ يَا سَيِّدِي!» وَقَبَّلَهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «يَا صَاحِبُ، لِمَاذَا جِئْتَ؟». حِينَئِذٍ تَقَدَّمُوا وَأَلْقَوْا الأَيَادِيَ عَلَى يَسُوعَ وَأَمْسَكُوهُ. وَإِذَا وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَ يَسُوعَ مَدَّ يَدَهُ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَقَطَعَ أُذْنَهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ! أَتَظُنُّ أَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرَ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ؟ فَكَيْفَ تُكَمَّلُ الْكُتُبُ: أَنَّهُ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟» فِي تِلْكَ السَّاعَةِ قَالَ يَسُوعُ لِلْجُمُوعِ: «كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ لِتَأْخُذُونِي! كُلَّ يَوْمٍ كُنْتُ أَجْلِسُ مَعَكُمْ أُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ وَلَمْ تُمْسِكُونِي. وَأَمَّا هَذَا كُلُّهُ فَقَدْ كَانَ لِكَيْ تُكَمَّلَ كُتُبُ الأَنْبِيَاءِ». حِينَئِذٍ تَرَكَهُ التَّلاَمِيذُ كُلُّهُمْ وَهَرَبُوا." (مَتَّى ٢٦: ٤٧ – ٥٦).

كان يهوذا الإسخريوطي مثل بقية التلاميذ، توقع أن يصبح السيد المسيح ملكًا أرضيًا وكان يتبع المسيح كل يوم وكان الصندوق معه. ولكن سرعان ما خابت آماله لأنَّ المسيح لم يأتِ ليكون ملكًا في الأرض بل ليملك على القلوب لكي تعيش لله.

لم يسمح يهوذا الأسخريوطي لتعاليم المسيح أو أفكاره أن تتغلغل إلى أعماق قلبه فتغيره مثلما حدث مع باقي التلاميذ وصارت حياتهم ذات معنى وذات رسالة خاصة. بل عندما وازن الأمور وجد أنَّه لا نفع مادي من اتِّباع المسيح، ولذلك قرَّر أن يكسب ولو القليل من اتِّباع هذا المسيح.

لذلك عندما قال المسيح إنَّ واحدًا من تلاميذه سيُسلِّمه انزعج الجميع، وأشار المسيح أنَّ خيرًا لذلك الرجل أن لم يولد حسب النبوات (أي ليس له رجاء سماوي أبدي بل سيمكث عليه غضب الله). برغم الفرصة التي كانت بين يده للتوبة، وقبول عمل وغفران السيد المسيح، ولكنه استمر في عناد قلبه وخرج وطلب تسليم المسيح لرؤساء الكهنة، فأعطوه ثلاثين من الفضة وذلك أيضًا كان تحقيقًا للنُبُوّة.

فجاء يهوذا ومعه حرس الهيكل وأعطاهم علامة أنَّ من يقترب منه ويُقبّله هو المسيح اذ كان يعرف الأماكن التي يتواجد بها المسيح مع تلاميذه. أو تلك التي يذهب إليها ليُصلّي بعيدًا عن زحام الجموع التي قد تعترض القبض عليه. لذلك جاء ليلاً إلى بستان جثسيماني وهناك وجد السيد المسيح فقبّله وأسلمه إلى الحراس.

وكان مع بطرس أحد تلاميذ المسيح سيفًا (أو سكينًا كبيرًا) وحاول الدفاع عن السيد المسيح فقطع أذن عبد رئيس الكهنة. ولم يدرك بطرس خطة الله بوجوب موت المسيح لكي يتم الفداء، وأنَّ المسيح سوف يُقدِّم نفسه طوعًا. ولكن المسيح طلب منه أن يرد سيفه إلى غمده لأن كل من يؤخذ بالسيف بالسيف يؤخذ"

نحن لا ننال الحياة الأبدية وملكوت الله بالسيوف، بل بالإيمان وطاعة الله وكلمته المقدسة. كذلك وجه المسيح نظر تلاميذه للقوى التي تحت يديه من جند سماوي، وأنَّه يستطيع أن يطلب فيرسل الله له جيشًا سماويًا للدفاع عنه، ولكن المسيح كان خاضعًا للإرادة الإلهية برغم صعوبتها. وأعاد المسيح أذن عبد رئيس الكهنة إلى مكانها، وكانت هذه آخر معجزة قام بها المسيح قبل صلبه مباشرة. عندئذ هرب تلاميذه كلهم بمن فيهم بطرس الذي أقسم أن يتبعه مهما كان الثمن.

"وَلَمَّا كَانَ ٱلصَّبَاحُ تَشَاوَرَ جَمِيعُ رُؤَسَاءِ ٱلْكَهَنَةِ وَشُيُوخُ ٱلشَّعْبِ عَلَى يَسُوعَ حَتَّى يَقْتُلُوهُ، فَأَوْثَقُوهُ وَمَضَوْا بِهِ وَدَفَعُوهُ إِلَى بِيلاَطُسَ ٱلْبُنْطِيِّ ٱلْوَالِي. حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى يَهُوذَا ٱلَّذِي أَسْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ دِينَ، نَدِمَ وَرَدَّ ٱلثَّلاَثِينَ مِنَ ٱلْفِضَّةِ إِلَى رُؤَسَاءِ ٱلْكَهَنَةِ وَٱلشُّيُوخِ قَائِلًا: «قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَمًا بَرِيئًا». فَقَالُوا: «مَاذَا عَلَيْنَا؟ أَنْتَ أَبْصِرْ!». فَطَرَحَ ٱلْفِضَّةَ فِي ٱلْهَيْكَلِ وَٱنْصَرَفَ، ثُمَّ مَضَى وَخَنَقَ نَفْسَهُ. فَأَخَذَ رُؤَسَاءُ ٱلْكَهَنَةِ ٱلْفِضَّةَ وَقَالُوا: «لاَ يَحِلُّ أَنْ نُلْقِيَهَا فِي ٱلْخِزَانَةِ لأَنَّهَا ثَمَنُ دَمٍ». فَتَشَاوَرُوا وَٱشْتَرَوْا بِهَا حَقْلَ ٱلْفَخَّارِيِّ مَقْبَرَةً لِلْغُرَبَاءِ. لِهَذَا سُمِّيَ ذَلِكَ ٱلْحَقْلُ «حَقْلَ ٱلدَّمِ» إِلَى هَذَا ٱلْيَوْمِ. حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا ٱلنَّبِيِّ ٱلْقَائِلِ: «وَأَخَذُوا ٱلثَّلاَثِينَ مِنَ ٱلْفِضَّةِ، ثَمَنَ ٱلْمُثَمَّنِ ٱلَّذِي ثَمَّنُوهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَعْطَوْهَا عَنْ حَقْلِ ٱلْفَخَّارِيِّ، كَمَا أَمَرَنِي ٱلرَّبُّ». (مَتَّى ٢٧: ١ – ١٠).

وبعدما أسلم يهوذا السيد المسيح لرؤساء الكهنة، ذهب إليهم يطلب منهم الرجوع عن هذه الاتفاقية، ولكنهم لم يقبلوا لأنهم اعتبروا أنَّ ذلك المال ثمن دم، وذلك تحقيقًا لنُبُوَّة (أنَّ ثمن البيع سيكون ثمن حقل دم). ألقى يهوذا المال على أرض الهيكل فاشتروا به حقلاً وسُمي حقل دم. وذهب وشنق نفسه.

ولكن ماذا لو كان يهوذا قد عاد إلى السيد المسيح يطلب غفرانه؟ بدون أدنى شك كان سينال غفران المسيح الذي وهو على الصليب قال *"اغفر لهم يا أبتاه لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون"*. ولكنه استسلم لعذاب الضمير وتأنيبه يائسًا من الغفران ومضي وشنق نفسه.

أحيانًا نشُكّ ونفقد الثقة برحمة الله الذي وعد بغفران خطايانا إذا طلبنا منه الرحمة والغفران.

وعندما نقارن ما حدث للتلميذ الآخر الذي يُدعى بطرس بعدما أنكر معرفته بالمسيح فى لحظة صعبة، إلَّا أنَّه بكى ندمًا على هذا الإنكار وأثبت لا بالكلام فقط بل بحياته بعد ذلك صدق توبته ودعوة الله له. إذا مات شهيدًا وهو يشهد عن المسيح حتى أقصي الغرب فى روما.

خامسًا: المحاكمات السِّتّ للسيد المسيح

المحاكمة أمام حنَّان رئيس الكهنة

كان حنَّان هو الرئيس الشرعى للكهنة ولكن الرومان استبعدوه وعيّنوا رئيساً آخر للكهنة وهو قيافا. وبرغم أنَّ ذلك لم يكن حسب تقليد اليهود ولا حسب الكتب المقدسة إلَّا انهم ارتضوا بالأمر الواقع وأصبح حنَّان وقيافا رئيسيّ الكهنة في ذلك الوقت.

"ثُمَّ إِنَّ ٱلْجُنْدَ وَٱلْقَائِدَ وَخُدَّامَ ٱلْيَهُودِ قَبَضُوا عَلَى يَسُوعَ وَأَوْثَقُوهُ، وَمَضَوْا بِهِ إِلَى حَنَّانَ أَوَّلًا، لأَنَّهُ كَانَ حَمَا قَيَافَا ٱلَّذِي كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ ٱلسَّنَةِ. وَكَانَ قَيَافَا هُوَ ٱلَّذِي أَشَارَ عَلَى ٱلْيَهُودِ أَنَّهُ خَيْرٌ أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ ٱلشَّعْبِ.

فَسَأَلَ رَئِيسُ ٱلْكَهَنَةِ يَسُوعَ عَنْ تَلاَمِيذِهِ وَعَنْ تَعْلِيمِهِ. أَجَابَهُ يَسُوعُ: «أَنَا كَلَّمْتُ ٱلْعَالَمَ عَلاَنِيَةً. أَنَا عَلَّمْتُ كُلَّ حِينٍ فِي ٱلْمَجْمَعِ وَفِي ٱلْهَيْكَلِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ ٱلْيَهُودُ دَائِمًا. وَفِي ٱلْخَفَاءِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ. لِمَاذَا تَسْأَلُنِي أَنَا؟ اِسْأَلِ ٱلَّذِينَ قَدْ سَمِعُوا مَاذَا كَلَّمْتُهُمْ. هُوَذَا هَؤُلاَءِ يَعْرِفُونَ مَاذَا قُلْتُ أَنَا». وَلَمَّا قَالَ هَذَا لَطَمَ يَسُوعَ وَاحِدٌ مِنَ ٱلْخُدَّامِ كَانَ وَاقِفًا، قَائِلًا: «أَهَكَذَا تُجَاوِبُ رَئِيسَ ٱلْكَهَنَةِ؟». أَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ قَدْ تَكَلَّمْتُ رَدِيًّا فَٱشْهَدْ عَلَى ٱلرَّدِيِّ، وَإِنْ حَسَنًا فَلِمَاذَا تَضْرِبُنِي؟». وَكَانَ حَنَّانُ قَدْ أَرْسَلَهُ مُوثَقًا إِلَى قَيَافَا رَئِيسِ ٱلْكَهَنَةِ."
(يُوحَنَّا ١٨: ١٢ – ١٤، ١٩ – ٢٤)

لماذا لم يحوّل المسيح الخد الآخر للخادم الذي، بل سأله لماذا يلطمه؟ إنَّ تعليم السيد المسيح بخصوص هذا الأمر هو ألَّا نسعى للانتقام لأنفسنا ولكن نترك المجال للقضاء. وعندما سأله لماذا تلطمني؟ كان يتساءل عن حقه كإنسان في محاكمة عادلة بدون الإساءة إليه إلَّا إذا ثبتت أدانته.

المسيح أمام قَيافَا رئيس الكهنة

"وَٱلَّذِينَ أَمْسَكُوا يَسُوعَ مَضَوْا بِهِ إِلَى قَيَافَا رَئِيسِ ٱلْكَهَنَةِ، حَيْثُ ٱجْتَمَعَ ٱلْكَتَبَةُ وَٱلشُّيُوخُ. وَأَمَّا بُطْرُسُ فَتَبِعَهُ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى دَارِ رَئِيسِ ٱلْكَهَنَةِ، فَدَخَلَ إِلَى دَاخِلٍ وَجَلَسَ بَيْنَ ٱلْخُدَّامِ لِيَنْظُرَ ٱلنِّهَايَةَ. وَكَانَ رُؤَسَاءُ ٱلْكَهَنَةِ وَٱلشُّيُوخُ وَٱلْمَجْمَعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةَ زُورٍ عَلَى يَسُوعَ لِكَيْ يَقْتُلُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوا. وَمَعَ أَنَّهُ جَاءَ شُهُودُ زُورٍ كَثِيرُونَ، لَمْ يَجِدُوا. وَلَكِنْ أَخِيرًا تَقَدَّمَ شَاهِدَا زُورٍ وَقَالاَ: «هَذَا قَالَ: إِنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَنْقُضَ هَيْكَلَ ٱللهِ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَبْنِيهِ». فَقَامَ رَئِيسُ ٱلْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هَذَانِ عَلَيْكَ؟». وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتًا. فَأَجَابَ رَئِيسُ ٱلْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَسْتَحْلِفُكَ بِٱللهِ ٱلْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللهِ؟». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ ٱلآنَ تُبْصِرُونَ ٱبْنَ ٱلإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ ٱلْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ ٱلسَّمَاءِ». فَمَزَّقَ

رَئِيسُ ٱلْكَهَنَةِ حِينَئِذٍ ثِيَابَهُ قَائِلًا: «قَدْ جَدَّفَ! مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ هَا قَدْ سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ! مَاذَا تَرَوْنَ؟». فَأَجَابُوا وَقَالُوا: «إِنَّهُ مُسْتَوْجِبُ ٱلْمَوْتِ». حِينَئِذٍ بَصَقُوا فِي وَجْهِهِ وَلَكَمُوهُ، وَآخَرُونَ لَطَمُوهُ قَائِلِينَ: "تَنَبَّأْ لَنَا أَيُّهَا ٱلْمَسِيحُ، مَنْ ضَرَبَكَ؟" (مَتَّى ٢٦: ٥٧ - ٦٨)

المسيح أمام المجلس الأعلي لليهود (السنهدريم)

"وَلَمَّا كَانَ ٱلصَّبَاحُ تَشَاوَرَ جَمِيعُ رُؤَسَاءِ ٱلْكَهَنَةِ وَشُيُوخُ ٱلشَّعْبِ عَلَى يَسُوعَ حَتَّى يَقْتُلُوهُ، فَأَوْثَقُوهُ وَمَضَوْا بِهِ وَدَفَعُوهُ إِلَى بِيلَاطُسَ ٱلْبُنْطِيِّ ٱلْوَالِي." (مَتَّى ٢٧: ١، ٢).

اجتمع أعضاء المجلس السبعون لكى يؤكِّدوا موافقتهم على إدانة السيد المسيح لا لكي يُحقِّقوا معه. وكم من مرة تأتى المجالس لكى تُصدِّق على حكمٍ صدر. وكان القانون ينص على أنَّ اجتماع المجلس يجب أن يكون في الصباح لكي يكون الشهود في حضور الجميع وفي وضح النهار.

لكن المجلس انعقد ليلًا ولم ينتظروا حتى الصباح لمحاكمة المسيح. وبعد ذلك أرسلوا السيد المسيح الي الوالي الروماني اذ لم يكن لهم الحق في قتل إنسان ولكن كان ذلك من سلطة الوالي الروماني بيلاطس.

لقد كانت التهمة الدينية الأولى الموجهة للسيد المسيح هي ادِّعائه بمساواته لله. ولكن التهمة الحقيقية كانت تدخُّله في شؤون رؤساء الكهنة وتعطيل مصالحهم الخاصة عندما طرد الباعة من الهيكل.

السيد المسيح امام بيلاطس الحاكم الروماني

المرة الأولي

"فَقَامَ كُلُّ جُمْهُورِهِمْ وَجَاءُوا بِهِ إِلَى بِيلَاطُسَ، وَٱبْتَدَأُوا يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ: «إِنَّنَا وَجَدْنَا هَذَا يُفْسِدُ ٱلْأُمَّةَ، وَيَمْنَعُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ، قَائِلًا: إِنَّهُ هُوَ مَسِيحٌ مَلِكٌ». فَسَأَلَهُ بِيلَاطُسُ قَائِلًا: «أَنْتَ مَلِكُ ٱلْيَهُودِ؟». فَأَجَابَهُ وَقَالَ: «أَنْتَ تَقُولُ». فَقَالَ بِيلَاطُسُ لِرُؤَسَاءِ ٱلْكَهَنَةِ وَٱلْجُمُوعِ: «إِنِّي لَا أَجِدُ عِلَّةً فِي هَذَا ٱلْإِنْسَانِ». فَكَانُوا يُشَدِّدُونَ قَائِلِينَ: «إِنَّهُ يُهَيِّجُ ٱلشَّعْبَ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي كُلِّ ٱلْيَهُودِيَّةِ مُبْتَدِئًا مِنَ ٱلْجَلِيلِ إِلَى هُنَا». فَلَمَّا سَمِعَ بِيلَاطُسُ ذِكْرَ ٱلْجَلِيلِ، سَأَلَ: «هَلِ ٱلرَّجُلُ جَلِيلِيٌّ؟» وَحِينَ عَلِمَ أَنَّهُ مِنْ سُلْطَةِ هِيرُودُسَ، أَرْسَلَهُ إِلَى هِيرُودُسَ، إِذْ كَانَ هُوَ أَيْضًا تِلْكَ ٱلْأَيَّامَ فِي أُورُشَلِيمَ." (لُوقَا ٢٣: ١ – ٧).

كم من أبرياء وُجِّهت لهم تهم مُلفقّة. فهل قال المسيح إنَّه الملك الأرضي لليهود؟ بالطبع لا، ولكنهم أرادوا تلفيق التهمة له إذ لا يعبأ الرومان بالشؤون الدينية إلَّا إذا كانت تمثل خطرًا على شؤونهم السياسية.

وعندما عرف بيلاطس أنَّه من مقاطعة الجليل أراد أن يُجامِل هيرودس الملك وفي الوقت نفسه يتخلَّص من هذه القضية الشائكة.

المسيح أمام هيرودس الملك

كان الملك هيرودس أغريباس ملكًا على الجليل، البلد التي سكن فيها المسيح. وكان هيرودس يحتفل بعيد "الفصح" في أورشليم حيث كانت محاكمة المسيح. ولذلك أرسل بيلاطس المسيح إلى هيرودس. وكانت سمعة المسيح قد ذاعت فى ربوع بلاد هيرودس.

"وَحِينَ عَلِمَ (بيلاطس) أَنَّهُ مِنْ سُلْطَةِ هِيرُودُسَ، أَرْسَلَهُ إِلَى هِيرُودُسَ، إِذْ كَانَ هُوَ أَيْضًا تِلْكَ ٱلْأَيَّامَ فِي أُورُشَلِيمَ. وَأَمَّا هِيرُودُسُ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ فَرِحَ جِدًّا، لِأَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ مِنْ زَمَانٍ طَوِيلٍ أَنْ يَرَاهُ، لِسَمَاعِهِ عَنْهُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً، وَتَرَجَّى أَنْ يَرَى آيَةً تُصْنَعُ مِنْهُ. وَسَأَلَهُ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ فَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ. وَوَقَفَ رُؤَسَاءُ ٱلْكَهَنَةِ وَٱلْكَتَبَةُ يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ بِٱشْتِدَادٍ، فَٱحْتَقَرَهُ هِيرُودُسُ مَعَ عَسْكَرِهِ وَٱسْتَهْزَأَ بِهِ، وَأَلْبَسَهُ لِبَاسًا لَامِعًا، وَرَدَّهُ إِلَى بِيلَاطُسَ. فَصَارَ بِيلَاطُسُ وَهِيرُودُسُ صَدِيقَيْنِ مَعَ بَعْضِهِمَا فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ، لِأَنَّهُمَا كَانَا مِنْ قَبْلُ فِي عَدَاوَةٍ بَيْنَهُمَا." (لُوقَا ٢٣: ٧ – ١٢).

وكان هيرودس يتوق لأن يشهد معجزة من معجزات المسيح ولذلك طلب منه أن يصنع معجزةً. لم يأتِ المسيح لكي يصنع المعجزات ولكنه أتى لكي يسترد العلاقة المكسورة بين الإنسان وخالقه. ولذلك لم يستجب المسيح لطلبه، فجلده انتقامًا منه، ثُمَّ أعاده إلى بيلاطس الوالي مرَّة أخرى.

قال السيد المسيح عن هيرودس إنَّه ثعلب. ويمتاز الثعلب بالخبث والجبن في الوقت نفسه. ولقد كان ذلك صحيحًا عن الملك هيرودس. ولابد أنَّ ذلك قد وصل إلى مسامع هيرودس ولكنه لم يواجه السيد المسيح بما قاله حيث لم تكن له الجرأة لكي يواجه ما سوف يقوله المسيح له.

لذلك لم يسال عن ذلك ولكنه طلب منه أن يصنع معجزة. ولكن كم من الناس شاهدوا معجزات، لكنهم لم يتوبوا إلى الله ولم يؤمنوا بعمله الكامل وخلاصه.

المسيح أمام بيلاطس مرَّة ثانية وأخيرة

"وَقَفَ الْمَسِيحُ يَسُوعُ أَمَامَ الْوَالِي. فَسَأَلَهُ الْوَالِي قَائِلًا: «أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ». وَبَيْنَمَا كَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ لَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ. فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: «أَمَا تَسْمَعُ كَمْ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ؟». فَلَمْ يُجِبْهُ وَلَا عَنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، حَتَّى تَعَجَّبَ الْوَالِي جِدًّا.

وَكَانَ الْوَالِي مُعْتَادًا فِي الْعِيدِ أَنْ يُطْلِقَ لِلْجَمْعِ أَسِيرًا وَاحِدًا، مَنْ أَرَادُوهُ. وَكَانَ لَهُمْ حِينَئِذٍ أَسِيرٌ مَشْهُورٌ يُسَمَّى بَارَابَاسَ. فَفِيمَا هُمْ مُجْتَمِعُونَ قَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: «مَنْ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟ بَارَابَاسَ أَمْ يَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟». لأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُمْ أَسْلَمُوهُ حَسَدًا. وَإِذْ كَانَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ الْوِلاَيَةِ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ قَائِلَةً: «إِيَّاكَ وَذلِكَ الْبَارَّ، لأَنِّي تَأَلَّمْتُ الْيَوْمَ كَثِيرًا فِي حُلْمٍ مِنْ أَجْلِهِ». وَلكِنَّ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخَ حَرَّضُوا الْجُمُوعَ عَلَى أَنْ يَطْلُبُوا بَارَابَاسَ وَيُهْلِكُوا يَسُوعَ. فَأَجَابَ الْوَالِي وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ مِنَ الاثْنَيْنِ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟». فَقَالُوا: «بَارَابَاسَ!». قَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: «فَمَاذَا أَفْعَلُ بِيَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟». قَالَ لَهُ الْجَمِيعُ: «لِيُصْلَبْ!». فَقَالَ الْوَالِي: «وَأَيَّ شَرٍّ عَمِلَ؟». فَكَانُوا يَزْدَادُونَ صُرَاخًا قَائِلِينَ: «لِيُصْلَبْ!». فَلَمَّا رَأَى بِيلاَطُسُ أَنَّهُ لاَ يَنْفَعُ شَيْئًا، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَحْدُثُ شَغَبٌ، أَخَذَ مَاءً وَغَسَلَ يَدَيْهِ قُدَّامَ الْجَمْعِ قَائِلًا: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هذَا الْبَارِّ! أَبْصِرُوا أَنْتُمْ!». فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَقَالُوا: «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا». (مَتَّى ٢٧: ١١ – ٢٥)

كثيرا ما يتقاعس رجال القضاء عن اتخاذ موقف حازم وجرئ لتبرير البرئ، ولكنهم قد ينقادون إلى الحكم بالباطل لمجرد إقرار السلام أو للسياسة أو لحصولهم على بعض المال أو لتحقيق منفعة خاصة.

إنَّ اعوجاج القضاء مكرهة لله. فإذا فسد الحاكم فمن يُرسي العدل. لم يُنصف الوالي بيلاطس السيد المسيح فقد كان يعلم حق العلم أنَّ المسيح لم يقترف جريمة تستحق الموت. لذلك حاول التهرُّب من إصدار الحكم فأرسل السيد المسيح إلى هيرودس الملك. ولكن هيروس أعاده إليه مرَّة أخرى.

ولعلم بيلاطس ببراءة السيد المسيح وتأثير زوجته (زوجة بيلاطس التى أرسلت له قائلة إياك وهذا البار- أي لا تخطئ الحكم على هذا البرئ) - أراد أن ينقذ السيد المسيح من يد اليهود فعرض عليهم أن يجلده (أي يؤدِّبه) ثم يطلقه ولكنهم رفضوا.

فعاد وأراد ان يضعه في احتمال إطلاقه بأن يكون السجين الذي يُطلق سراحه كل عام فى فترة العيد. ولكن المسيح كان السجين الذى سوف يُحرِّر كلَّ أسيرٍ من خطاياه بموته على الصليب. ولكن اليهود اختاروا إطلاق سراح باراباس المجرم الخطير، فانصاع لكلامهم وأعطاهم السيد المسيح لكي يقتلوه حسب شريعتهم.

قد يحاول القضاة أن يُسكِتوا ضمائرهم بأن يقوموا بعمل درامي ليُعبّروا عن عدم رضاهم عن الحكم الصادر على المجرم بدون أن يُصدروا الحكم، مثلما فعل بيلاطس وغسل يديه وقال أنا برئ من دم هذا البار.

أنَّ الله قد أوكل الحكام ليس فقط ليديروا شؤون البلاد بل ليحكموا بالعدل وأن يحموا الرعيَّة من الظلم والظالمين ومهما غسلوا أيديهم فهذا لا يعفيهم من مسؤوليتهم لحماية المظلومين.

وبذلك اسلم بيلاطس المسيح ليُصلب.

وإذ كانت الدولة الرومانية دولة منظمة، فقد ورد نصٌ في أحكام الدولة الرومانية بالحكم على شخص ادَّعى أنَّه "ملك لليهود" بالإعدام، وذلك في عهد بيلاطس البنطي.

أسئلة

هذه الأسئلة تعبر عن محتويات الدرس وليس بالضروري أن تُعبّر عن رأيك الخاص. وفي كل حال سوف تنتقل إلى الدرس التالي.

١- قال المسيح إنَّ المرأة قد سكبت العطر على رأسه لتكفينه وذلك العمل سوف يخبر به في كل مكان ستذهب إليه رسالة المسيح.
نعم لا

٢- "خميس العهد" ذلك اليوم الذي أوصى فيه المسيح بأن يمارس أتباعه كسر الخبز وشرب الكأس أي المائدة المقدسة علامة للعهد الجديد الذي أتى به المسيح.
نعم لا

٣-قال المسيح إنَّ الخبز هو علامة لجسده المكسور من أجلنا.
نعم لا

٤- برغم اختلاف الطوائف المسيحية في كيفية ممارسة العشاء الرَّبَّاني، فالجميع يؤمنون أنَّ ذلك ذكرى لموت المسيح على الصليب وسفك دمه من أجل خطايانا.
نعم لا

٥- ذهب السيد المسيح مع تلاميذه إلى بستان جثسيماني لأنَّه كان يريد أن يُصلّي.
نعم لا

٦- كان السيد المسيح يُصلّي لأنَّه كان "إنسانًا كاملاً" في ناسوته.
نعم لا

٧- كان السيد المسيح يعلم أنَّ يهوذا سوف يُسلِّمه.
نعم لا

٨- تنبأ العهد القديم أنَّ السيد المسيح سيُباع بثلاثون من الفضة، أي ثمن عبد.
نعم لا

٩- أراد رؤساء الكهنة القبض على المسيح بعيدًا عن الهيكل ومحاكمته محاكمة سريعة لأنّ يوم السبت قد اقترب، ولا يستطيعون قتله يوم السبت.
نعم لا

١٠- كان بطرس يحمل سيفًا وقطع أذن عبد رئيس الكهنة ولكن السيد المسيح رفض استخدام العنف لكي يدافع عن نفسه.
نعم لا